﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف: 45]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

يتكلّمُ الأدنى رُتبةً بعد فراغِ الأعلى منه مُراعاةً لأدَبِ المجلِسِ

لمّا ذَكَرَ في الآيةِ السّابقةِ عجْزَ الملأِ بأنفسِهم عن تأويل رُؤيا الملِك، أخبرَ هنا عمّنْ كان في الملأ واستدركَ بمعرفة تأويلِ الرّؤيا بوساطةِ غيرِه، وأنّه عرضَ عليهم أن يكونَ وسيطًا بين الملِك ومَنْ يستطيعُ تعبيرَها له؛ أيْ: لمّا أعضلَ على الملأ تأويلُ هذا الحُلْم، وظهر عَوَصُ تعبيرِها تذكّرَ ساقي الملِك ما جرى له مع يوسفَ عليه السلام، وتأويلَ رؤياه ورؤيا صاحبِه، وطلبَه إليه ليَذْكرَه عند الملِك، فقال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱدَّكَرَ﴾: أصلُها: (اذتكر) على وزن: (افْتَعَلَ) مِنَ (الذِّكْرِ)، فوقعتْ تاءُ (الافتعال) بعد (الذّال)، فأُبْدِلت (دالًا) فاجتمع متقاربان، فأُبْدِلَ الأوّلُ مِنْ جنس الثّاني وأُدغِمَ. وأصلُ (ذكر): هيئةٌ للنّفْس تُمَكِّنُ الإنسانَ أن يَستحضِرَ ما يَقْتَنيه منَ المعرفة. والمُرادُ هنا: إمّا ذِكْرٌ عن نسيان، وإمّا ذِكْرٌ عن إدامةِ حِفْظٍ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لمقاديرِ أوقاتٌ مُقَدَّرَةٌ لا تَتَخطّاها

قال الّذي نجا من عقوبةِ القتْل من صاحبَيْ يوسفَ عليه السلام في السّجن، وتذكّرَ - بعدَ مُدّةٍ - أمْرَ يوسفَ ومقامَه العالي في تأويل الرّؤيا، فقال: أنا أخبرُكم بتأويلِ هذه الرُّؤيا، فابْعَثوني إليه لآتيكم بتفسيرِها[3].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/284، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/283.
(2) الرّاغب، المفردات: (ذكر)، والسّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 6/507.
(3) مجمع الملك فهد، التّفسير المُيسَّر، ص: 241.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوَصْلِ في الآيةِ:

لا يتعجّلِ المرْءُ بالاستدراكِ على غـيرِه إلّا بعد فراغِه من بَيانِه

جُملةُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾ معطوفةٌ على جملةِ: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ﴾، وبين الجُملتَيْن كمالُ اتّصالٍ، والوَصْلُ بالواو أفادَ إدخالَ الجملة الثّانيةِ مع الجملةِ الأُولى في حيّزِ الجوابِ على المَلِك، وهو يدلُّ على أنّ الّذي نجا في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو منَ الملأ الّذين خُوطبوا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى﴾ [يوسف: 43]، وإنّما ذَكَر جوابَه لاحقًا لجوابِهم، ليدلَّ على أمرَيْن: **الأوّل**: أنّه داخلٌ في حُكْمِهم بعدمِ العِلْمِ المذكورِ في قولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ فهو مِثْلُهم غيرُ عارفٍ بتأويل الرّؤيا. **والثّاني**: أنّه بعد ثبوتِ عدمِ علْمِهم جميعًا استدركَ على ذلك وذكَرَ عِرفانَه بِمَنْ يستطيعُ ذلك، فجملةُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾ في معنى الاستدراك بعد ثبوتِ عدمِ عِلمِهم، والاستدراك لاحِقٌ لِما سبَقَه[1].

عـدَلَ بالعطْفِ بالواوِ دونَ الفاءِ إشعارًا بأنّه منَ الملأ

ولمّا كان تَعَصّي تأويل الحُلْمِ حالًا مُذكِّرًا للسّاقي بيوسفَ عليه السلام أخبرَ سُبحانه بأنّه ذَكَره بعد نِسيانِه، فقال عادلًا عنِ الفاء إيذانًا بأنّه من الملأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾[2].

دلالةُ التّعبيرِ بفعْلِ القولِ:

اجتماعُ الأدنَى مع الأعلَى في مجلِسٍ واحدٍ يَسمحُ له بالمُداخلةِ والاقترابِ

تصديرُ الجملةِ بفعل القول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾، لتأكيد ما سبقَ تقريرُه من أنّ الّذي نجا وهو السّاقي كان من جُملةِ الملأ، وليس معناه أنّه في رُتْبتِهم، بل معناه أنّه يكونُ في مَجْلِسِهم باعتباره السّاقيَ فيكونُ معدودًا فيهم محسوبًا عليهم، ونكتةُ تصديرِ الجُملة بفعل القول ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾ يُشْعِر باتّحاد المَجلس، وأنّه كان حاضرًا وقْتَما قال الملِك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى﴾ [يوسف: 43] ولم يَقل ذلك

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/111، وصافي، الجدول: 12/441.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/110 - 111.

في مجلسٍ منفصلٍ أو سَمِعَ بما حدثَ بعد ذلك فقال ما قال؛ لأنّ مجيءَ الفعل (وقال) على وَفْقِ نظيره: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ﴾ يُؤذِنُ بأمورٍ:

الأوّلُ: أنّ لهذا السّاقي صَلاحيّةً في الكلام بأنْ يكونَ له قولٌ خاصٌّ إزاءَ أقوالِهم.

الثّاني: أنّ السّاقيَ كان مَعنِيًّا بخطاب المِلك وواحدًا منَ المَقْصودين به حين استَفْتاهم في تعبير رُؤياه، وإلّا ما صدرَ منه قولٌ أصلًا.

الثّالثُ: أنّ التّعبير بالقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾ مع خطاب الجمْعِ في ﴿أُنَبِّئُكُم﴾ مُعينٌ على ما تقرّرَ منِ اتّحاد المجلسِ وبُعدِ شأنِه في الملأِ الحاضرين.

دَلالةُ التّعبيرِ بالموصولِ الخاصِّ:

تعريفُ المجاهيلِ بما يُميّزُهم عندَ السّامعِ

التّعبيرُ بالموصولِ الخاصِّ ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾ لتَعْيينه والدّلالةِ عليه بشخصِه، وللإيذان بأنّه كان معروفًا مشهورًا، لأنّه السّاقي، ولِكونِ قصّةِ نجاتِه منَ السّجن لا تَخفَى على أحد، فعبّرَ بالموصول الخاصِّ؛ للنَّصّ عليه وتمْييزِه بقصّتِه ومِهْنتِه أكملَ تمييزٍ، لعدمِ علْمِ السّامعِ بالأحوالِ المُختَصّةِ به سِوى مضْمونِ الصِّلةِ، وأيضًا فيه إشارةٌ إلى سببِ القولِ المذكورِ[1].

سِرّ التّعبيرِ بفعْلِ النّجاةِ:

الإنجاءُ منَ الضُرِّ خيرُ العَطايا وأثْمَنُها

التّعبيرُ بفعلِ النّجاة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾ ليدلَّ على أنّ حظَّ هذا الرّجلِ منَ الخيرِ ونصيبَه منَ النِّعمة أعمُّ وأكبرُ من مجرّد خروجِه منَ السّجن، بل هي نجاةٌ منَ الهلَكَةِ والقتْلِ، فلم يكن حالُه كحال صاحبِه، ونجاةٌ من السّجن بعدم طولِ المُكْثِ فيه، فالتّعبيرُ بالفعل ﴿نَجَا﴾ لإفادة عمومِ التّخليصِ منَ الشّرّ، والفِكاكِ منَ المصيبةِ.

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/341.

وأوثرَ التّعبيرُ بوصْف النّجاةِ - أيضًا - مُراعاةً للنّظير السّابقِ في السّياق في قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف: 42] حيثُ وصفَه بالنّجاة أوّلًا، فناسَبَ أنْ يُعيدَه بالوصفِ نفْسِه، لئلّا يُوهِمَ بأنّه غيرُ الأوّلِ، واستحسانًا لِوصفِ النّجاةِ لفظًا ومعنى، فهو أدلُّ على حُسن العاقبةِ والمُعافاةِ منَ السّوء[1].

عبّرَ بفعْلِ النّجاةِ مُراعاةً للنّظيرِ السّابقِ

عوْدُ الضّميرِ في ﴿نَجَا مِنْهُمَا﴾ ومعنى (مِن):

ضميرُ الاثنيْن في قوله تعالى: ﴿نَجَا مِنْهُمَا﴾ يعودُ على ﴿يَصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: 41] في قوله: ﴿يَصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ [يوسف: 41]، فـ (مِن) في قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ بيانيّةٌ. ونُكتةُ النّصِّ على ضمير المُثنّى ﴿مِنْهُمَا﴾ دون أن يقول: (وقال الّذي خرج من السّجن أو الّذي نجا من السّجن) للدّلالةِ على موضعِ الامتنان عليه بأنّه نجا وصاحبُه هَلَك، وكان يمكنُ أن يكونَ مكانَ صاحبِه، فضميرُ الاثنيْن دالٌّ على الحال وضدِّها، لتأكيدِ معنى المِنّةِ في الشّيء باستحضارِ ما يُضادُّه من حال المِحنةِ والهَلَكَةِ، وفيه نُكتةٌ أخرى: وهو الدّلالةُ على الحافزِ الّذي استنْهَضَه للتّذكُّرِ والقولِ بين يدي الملِك، ذلك أنّ قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ فيه إشارةٌ إلى ما كان من أمر تعبيرِ الرّؤيا لهما من يوسفَ عليه السلام، فتذكّرَ من تعبيرِ الرّؤيا لهما أنْ يُخبرَ بمَنْ يستطيعُ تعبيرَ الرّؤيا للملِك.

يَصونُ المِنَحَ مَنْ خَبَرَ تجارِبَ المِحَنِ

مَوقعُ جُملةِ ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ ممّا قبْلَها:

جُملةُ: ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ إمّا معطوفةٌ على جملة الصّلةِ ﴿نَجَا﴾، فتكونُ داخلةً في حيّز الصِّلةِ؛ أيْ: الّذي نجا وادّكرَ. وإمّا أنْ تكونَ الواو حاليّةً وجملةُ ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ حالٌ منَ الموصول: ﴿ٱلَّذِى﴾ أو من عائدِ الموصولِ وهو فاعلُ: ﴿نَجَا﴾ أيْ: هو، والتّقديرُ: وقال الّذي نجا، والحالُ أنّه ادّكر بعد أُمّةٍ. والجملةُ الحاليّةُ أبلغُ هنا منَ المعطوفةِ،

قد يُخبَرُ عنِ المرءِ بما يُفيدُ العِتابَ عليه

(1) السَّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (نجو).

لدلالتها على الظّرفيّة الزّمنيّة المُقترنة بصاحب الحال؛ أيْ: قال ما قال إذْ هو مُدَّكِرٌ بعد أُمّة؛ أيْ: لم يَقُلْ مقولتَه في جوابه على المَلِك إلّا وهو متّصِفٌ بالادّكار، أوِ الجملةُ معترضةٌ بين القولِ ومَقولِه، ونظْمُ الكلامِ: وقال الّذي نجا منهما أنا أُنبّئُكم بتأويلِه[1].

دَلالةُ اصطفاءِ لفْظِ ﴿وَٱدَّكَرَ﴾:

جاء لفظُ: ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ على صيغةِ (افتعل) بمعنى (ذكَرَ) للدّلالةِ على تكلُّفِ الفعل في إتيانه والقيامِ به، وللدّلالةِ على الاجتهادِ والمبالغةِ في تحصيل الفعلِ، وللدّلالةِ على إظهارِ الفعل، فالأوّل: لأنّ السّاقي ذَكَرَ أمرَ يوسفَ ﷺ بتكلُّفٍ بعد طولِ كتمانٍ مخافةَ أنْ يُذَكِّر الملكَ بذنْبِه وحالِ سَجنِه مع الخبّاز، طيًّا لتلك الصّفحةِ المُسيئةِ، فكان ذِكْرُه لأمر يوسفَ اضطرارًا، لحضورِ مُقتضاه من تعبير رؤيا المَلِك، فكأنّه قيل: لولا ذلك ما ذَكَرَ. والثّاني: لأنّه اجتهد وطلبَ تحصيلَ أصلِ الفعلِ وهو الذِّكْرى، فأخذَ يتذكّرُ حتّى ذَكَر، وهذا يدلُّ على أنّه كان يَستدْعي ما غيَّبَه النِّسيانُ وطولُ الزّمن، ولذا قال: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أيْ: مُدّةٍ طويلة. أو أنّه تذكّر تذكُّرًا شديدًا ملائمًا لنسيانه ما كلّفَه يوسفُ من أن يَذكُرَه عند ربِّه. والثّالثُ: لأنّه أظهرَ الذِّكْرَ للعَلَن، كما تقول: اعتذرَ، إذا أظهرَ العُذْرَ، فكذلك (افتعل) في (اذتكر) إذا أظهرَ الذِّكْرَ أو أظهر التّذكُّرَ. ولا يخفى أنّ التّعبيرَ بصيغة (افتعل) شديدُ المناسبةِ لتعليقِ الظّرفِ به وهو قوله: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[2].

العِتابُ يَسْتَدْعي ألفاظًا صَعْبةً أحيانًا

دَلالةُ التّعبيرِ بالبَعدِيّةِ:

﴿بَعْدَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ ظرفُ زمانٍ مُنكّرٍ لإضافته إلى نكرةٍ، نحوَ: (جئتُ بعد سفرٍ طويلٍ). ويدلُّ على مرورِ زمنٍ مُحدَّدٍ بزوالِ أمّةٍ من غير تحديدٍ دقيقٍ لزَمَنِه بالأيّام أوِ السّنين، أو غيرِهما، وهذا الانقضاءُ غيرُ المُحدَّد للأمّة يَستلزمُ لفظَ البَعديّةِ.

الانقضاءُ غيرُ المُحدَّدِ للأمّةِ يَستلزمُ لفْظَ البَعديّةِ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/165، والخطيب، التّفصيل في الإعراب: 6/292.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/111، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3830.

بَلاغةُ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿أُمَّةٍ﴾:

طولُ الزّمانِ مَظنّةُ زوالِ الأُمَمِ

تُطلقُ الأمّةُ على الجماعةِ منَ الزّمانِ (المُدّةِ المجتمعةِ الطّويلةِ) على سبيلِ المجازِ المُرسلِ، فقد ذَكرَ المظروفَ وأراد الظّرفَ، ولفظُ (الأُمّة) يُرادُ به الجماعةُ الكثيرةُ منَ النّاسِ، والمُرادُ به هنا: المدّةُ الطّويلةُ أوِ الزّمنُ أو الحينُ، ويكونُ في الكلامِ إيجازٌ بحذْفِ مُضافٍ، وإقامةِ المضافِ إليه مقامَه، والتّقديرُ: بعد انقضاءِ أُمّةٍ، أو بعدَ ذهابِ أُمّةٍ؛ أيْ: بعد انقراضِ جيلٍ أو جماعةٍ كبيرةٍ في الزّمن، فكنَّى بزوالِ الأمّة عن مُدّةِ الزّمانِ الطّويلِ، إذْ طولُ الزّمنِ لازمٌ عن انقراضِها وزوالِها[1].

دَلالةُ تقديمِ المُبتدأِ على الخبرِ الفعلّي:

استدعى ما يَدلُّ به على ذاتِه بالجَدارةِ والاستِحقاقِ

افتتح البيانُ الإلهيُّ جملةَ مقولِ القولِ بضميرِ المُتكلّمِ وقدّمَه على الخبرِ الفعليِّ، فلم يقل: أُنبّئُكم أنا بتأويلِه، لإفادةِ اختصاصِه بحُكمِ الإنباءِ فيما استعصَى على مَنْ هم فوقَ رُتْبَتِه من أكابرِ الحاشيةِ وخواصِّ المَلِك، ولإفادةِ الحصْرِ الإضافيِّ؛ لأنّه استطاعَ ما عجَزوا عنه، فصحَّ له الحَصْرُ، فقدّم ضميرَه لاستدعاءِ استعْجابِ المَلِك منه، فكأنّه يدلُّ على ذاتِه بما يَجْعلُه في مقامِ التّزكيةِ عند المَلِك، وأيضًا لغرَضِ تقويةِ الحُكمِ، وهو ثبوتُ استطاعتِه على ذلك، لِقصدِ مُخاطبةِ المَلِك بأسلوبٍ يَحملُه على الاقتناعِ بقولِه والالتفاتِ له والثّقةِ فيه[2].

بَلاغةُ المَجازِ العقلّي في ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾:

لا يَتشبَّعُ الكريمُ بما لم يُعْطَ

في إسنادِ الإنباءِ بتأويلِه إلى ضميرِ السّاقي ﴿ٱلَّذِي نَجَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ مجازٌ عقليٌّ، لأنّه إسنادٌ للفعْلِ إلى غيرِ فاعلِه، إذِ المُنبِئُ بتأويلِه هو يوسفُ عليه السلام، وليس هو، فالمجازُ في

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/201، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/341، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/283.

(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/342، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/283.

إسنادِ الفعْلِ إلى سببِ وقوعِه، والسّاقي هو سببُ الإنباء بالتّأويلِ، ويصحُّ أنْ يكونَ الإسنادُ في ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ على أصلِه منَ الحقيقة، ولا مجازَ فيه، على اعتبارِ أنّ ناقِلَ التّأويلِ هو مُنبِئٌ به حقيقةً، ولا يَلزمُ منَ الإنباء معنى الإنشاءِ؛ أيْ إنّه ليس مُنشِئًا للتّأويل، بل مُخبِرٌ به فقط، ففرقٌ بين الإنباء والإنشاءِ، ويدلُّ على ذلك قراءةُ الحسنِ: (أنا آتيكم بتأويله)[1].

دَلالةُ التّعبيرِ بفعْلِ (الإنباء) دون الفُتْيا أوِ الإخبارِ:

الإنباءُ هو إخبارٌ عن ذي شأنٍ وبالٍ

إيثارُ التّعبيرِ بفعْلِ الإنباء دونَ غيره، في قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ فيه عدّة دلالاتٍ؛ منها: تعظيمُ رُؤيا المَلِك بتعظيمِ أمْرِ تأويلِها؛ لأنّ الإنباء هو إخبارٌ عن ذي شأنٍ وبالٍ، وفيه إلفاتٌ إلى حُسنِ أدبِه في الجوابِ عمّا يَتعلّقُ بمقامِ المَلِك إجلالًا له.

ومنها: تعظيمُ أمرِ تأويل الرُّؤى، لاستلزامِه العِلمَ العظيمَ، فتكلّمَ عليه بفعْلِ الإنباء، لإفادةِ أنّ التّأويلَ نفسَه ذو بالٍ في اقتضائِه الأهليّةَ والتّمكُّن، فكأنّه قال: أُخبرُكم إخبارَ المُستأهِلِ لذلك الخبيرِ به، إضافة إلى إغراء المَلِك على الإنصاتِ له والاكتراثِ بقولِه والإذنِ في إرساله ومُجاراته في طلبِه، فتصديرُ جملةِ مَقول القولِ بلفظِ الإنباء يَلفِتُ الأسماعَ إليه.

وأيضًا فإنّ التعبير بفعْلِ الإنباء دونَ غيره للدّلالةِ على أنّه ناقِلٌ عن غيره، ولو قال: أُفْتيكم، لأوهَمَ أنّه من تلقاء نفسِه[2].

دَلالةُ ضميرِ الخِطابِ الجمعيِّ في ﴿أُنَبِّئُكُم﴾:

مِنْ سَلامةِ الإحساسِ العِرفانُ بأقْدارِ النّاسِ

ضميرُ الخطابِ الجمعيِّ في قوله تعالى: ﴿أُنَبِّئُكُم﴾ عائدٌ على المَلِك والملأِ الحاضرين، فجمَع في خطابِه بين تفخيمِ المَلِك

(1) الدّمياطيّ، إتحاف فضلاء البَشَر، ص: 332، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/283.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/282، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/111، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/283.

بصيغةِ الجمْعِ، وإكبارِ الملأِ الحاضرين بتوجيه الخطابِ إليهم، لئلّا يُقصيَهم أو ينفردَ بخطابِ المَلِك عنهم؛ لأنّ في إكبارهم إكبارًا للمَلِك، وإهمالُهم في الكلام إنقاصٌ منهم وتعريضٌ بهم لا سيّما بعد اعترافِهم بعدمِ علْمِهم وقُصورِهم عن تأويلِ الأحلامِ[1].

معنى الباءِ في قوله: ﴿بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ للتّعْديةِ، كما تقول: أنبأتُ ونَبّأتُ بكذا، ومعنى الباءِ الإلصاقُ، إذِ الخبَرُ محلُّ الإنباء يكونُ كأنّه مُلتصِقٌ بأذُنِ السّامِع عند إخبارِه به، فيكونُ معلومًا عنده مُلتصِقًا عِرفانُه به[2].

لا يكونُ الإخبارُ مُفيدًا حتّى يَأْبَهَ له السّامعُ

دَلالاتُ عوْدِ الضّميرِ في قوله: ﴿بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾:

الضّميرُ في قوله تعالى: ﴿بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ عائدٌ على الحُلْم أو على المعنى؛ أيْ: أُنبِّئكم بتأويلِ حُلْمٍ، أو أمْرٍ، أو معنى الرّؤيا، أو على الحُلْم؛ أيْ: بتأويلِ الحُلْمِ المذكورِ، وأورد الضّميرَ على الإفراد والتّذكيرِ؛ لأنّه منامٌ واحدٌ، وعلى التّذكيرِ؛ لأنّه (حُلْم)، وعدَلَ عن جمْعِ الضّمير وتأنيثِه، فلم يقل: أُنبِّئُكم بتأويلِها، كما قالوا: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ﴾ على الجمعِ والتّأنيثِ، لاختلاف الغرَضِ، فهم يُخبرون عن عمومِ معرفتِهم بالأحلامِ أو يُخبرون عن معهودٍ جمْعيٍّ وهو ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾، ولذلك جمَعوا الضّميرَ، وهو هنا يُخبِرُ عن خصوصِ رُؤيا المَلِك، فأفردَ، ولم يَقُل: (بتأويلها) على الإفرادِ والتّأنيثِ عوْدًا على الرّؤيا؛ لأنّ المُرادَ حُكْمُها وأمْرُها، أوِ المُرادُ (الحُلْمُ) لمراعاةِ أقربِ نظيرٍ له وهو قولُهم: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ﴾، فأخبر هنا بتأويل الحُلْم، جَريًا على لفْظِهم.

تـأويـلُ الأمـورِ ثـقـيـلٌ في مُـعـالَـجَـتِـه، فيُسْنَدُ لفظُه إلى ضميرِ التّذْكيرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/283.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/282.

بَلاغةُ الإيجازِ في جُملةِ الفاصلةِ:

من بَلاغَةِ نظْمِ الـقـرآنِ بَـديـعُ الاكتفاءِ بالمذكورِ

في قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾ ايجازٌ بحذْفِ الجُمَلِ؛ أيْ: فأرسلوني إلى يوسفَ لأستعبرَه الرّؤيا، ففعلوا وأتاه فقال له: يا يوسفُ[1].

بَلاغةُ العطْفِ بالفاءِ في قوله: ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾:

التّـطـوّعُ بما لا يُحسِنُـه غيرُك أمارةٌ على المروءةِ والنُّبلِ

الفاءُ في قوله: ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ عاطفةٌ مدخولَها على جملةِ مَقولِ القول: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾، وفائدةُ العطْفِ بها: ربْطُ المُسبَّبِ بسبَبِه، إذِ المعنى: أنا أنبِّئُكم بتأويله، فبِسَبَبِ الإنباء أرسِلون؛ أيْ: الإرسالُ مُسَبَّبٌ عن قصدِ الإنباء، وإرادةُ الإنباء سببٌ للإرسال، أوِ الفاء فصيحةٌ عاطفةٌ مدخولَها على شرطٍ مُقدَّر؛ أيْ: إنْ أردتُم التّأويلَ فأرسِلون، وجملةُ: ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ في محلِّ جزْمِ جوابِ الشَّرطِ المُقَدَّرِ[2].

دَلالةُ ضميرِ الجمْعِ في قوله: ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾:

تُـسـنَـدُ الأمـورُ الـعـظـيـمـةُ إلى مَنْ هو أَوْلى بها

ضميرُ الجمْعِ (الواو) في قوله: ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ عائدٌ على المَلِك، إذْ هو وحده الّذي يملِكُ إذْنَ إرساله، وجُمعَ الضّميرُ، لتعظيم المَلِك وإكباره[3]. والجمعُ أيضًا لموافقةِ الفواصلِ: ﴿تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ [يوسف: 43]، ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾، ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، ﴿تُحۡصِنُونَ﴾.

دَلالةُ حذْفِ مُتعلَّقِ الإرسالِ في ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾:

تقليلُ الكلامِ أقْضَى للمَصالحِ وأنهضُ عليها

لم يُعيِّنْ لهم جهةُ الإرسال، "لأنّه أراد أنْ يُفاجئَهم بخبرِ يوسفُ عليه السلام بعد حصولِ تعبيرِه ليكونَ أوقعَ، إذْ ليس مِثْلُه مَظِنّةَ أن يكونَ بين المساجين"[4]، واكتفاءً بقُربِ ذِكْرِه السّابق المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ - ولذا لم يَذكرْ أيضًا: لأيّ شيءٍ أو شخْصٍ أو

(1) عفيف، الشّامل: 2/84.
(2) صافي، الجدول: 12/441.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/283.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/283.

موقفٍ كان تذكُّره بعد أمّة، لدلالة النّجاةِ عليه - واكتفاءً بِقُربِ ذِكْرِه اللّاحقِ تصريحًا به في قوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإنباءُ والإخبارُ:

النّبأُ يُقالُ في الخبَرِ الّذي يعلَمُه المُخبَرُ

أصلُ (نبأ): الانتقالُ من مكانٍ إلى مكان، وسُمّيت الأخبارُ المَحكيّةُ بالأنباء؛ لكونِها تنتقلُ من جهةٍ إلى جهةٍ. والنّبأُ يُقالُ في الخبَر الّذي لا يعلمُه المُخبَرُ، ولذا يقتصرُ على الأخبارِ ذاتِ الفائدةِ العظيمةِ؛ لأنّ الإخبارَ بما لا يعلمُه المُخاطَبُ، يُحدِثُ عنده عِلْمًا لم يكن عندَه فيستفيدُ، ولكونِ (نبأ) يُقالُ في الانتقال من مكان إلى مكان، فلا يُتكلَّفُ الانتقالُ غالبًا إلّا في شأنٍ مُهمٍّ وعظيم. ولذا عبّرَ هنا بالإنباء في قوله: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم﴾، لكونِه خبَرًا عظيمًا يُرحَلُ في طَلَبِه.

وأمّا الخبَرُ فهو العِلْمُ بحقيقةِ الشّيء، وهو عامٌّ في جميع المعلوماتِ المعلومةِ بالخبَر، وهو أعمُّ منَ النّبأ في نفْسِه وفي جِهتِه (المُخبَر)، فقد يكونُ حقًّا وباطلًا وقد يكونُ ذا فائدةٍ أو خاليًا منها. وقد يكونُ المُخبَر عالمًا بما يُخبَر به أو غيرَ عالمٍ[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/282.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خبر، نبأ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»